النحت الآشوري في الألف الأول قبل الميلاد الموضوعات والدلالات التاريخية

أ.م .د باسم محمد حبيب خلف
المديرية العامة لتربية ذي قار
basim02@gmail.com

التقديم: 2020/12/29
القبول: 2021/3/22
النشر: 2022/3/15
Doi: https://doi.org/10.36473/ujhss.v61i1.1917

This work is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International Licenses

المستخلص

يتناول هذا البحث النحت الآشوري في الألف الأول قبل الميلاد وأهم ما يعرضه من موضوعات و ما يحمله من دلالات تاريخية ، إذ ركزنا في البداية على دراسة بدايات هذا الفن الذي يعد جزءا من فنون حضارة بلاد الرافدين ، كون الآشوريون الذين ارتبط هذا الفن بهم من شعوب بلاد الرافدين ، لذا سارت بدايات هذا الفن جنبا إلى جنب مع بدايات النحت السومري والبابلي ، إلى أن بلغت الدولة الآشورية مرتبة الإمبراطورية عندها حمل هذا الفن وظيفة الدفاع عن وحدة الإمبراطورية والحفاظ على استقرارها السياسي والاجتماعي ، وهذا ما دعاه إلى التأثر بفنون الشعوب الأخرى المجاورة أو الخاضعة لهيمنة آشور ، ثم عرضنا أهم الموضوعات التي تناولها فن النحت الآشوري لاسيما الحروب التي أخذت موقع الصدارة في اهتمامات هذا الفن انطلاقا من التحديات التي واجهها الآشوريين من الشعوب المجاورة وتحول العقيدة العسكرية الآشورية من اعتماد أسلوب الدفاع لصد المعتدين إلى إعتماد أسلوب الهجوم لضرب الأعداء المحتملين في عقر دارهم ، فكان فن النحت خير معبر عن النزعة العسكرية الآشورية ، كما تناول البحث موضوعات أخرى كالصيد وأنشطة الملوك السلمية ، وهي موضوعات تقوي روابط الفرد بمؤسساته وتزيد من تماسك المجتمع ، وأخيرا بينا أن أهمية النحت الآشوري لا تنحصر بما يحمله من قيمة فنية وجمالية جعلته في مصاف الفنون العالمية الراقية بل وبما يحمله من قيمة تاريخية ، إذ يمكن أن نستقي منه معلومات كثيرة عن واقع الحياة في المجتمع الآشوري ، فضلا عن الأنشطة السياسية والعسكرية للملوك والحكام والقادة ، وهي معلومات قد لا يتسنى الحصول عليها من المصادر الأخرى .

الكلمات المفتاحية : النحت الآشوري، الدلالات التاريخية للنحت

المقدمة

لم يكن الأشوريون مجرد شعب محارب ، فقد عرفوا أيضا بكفاءتهم الإدارية ، وانجازاتهم المعمارية ، وبفنونهم المتميزة والبديعة ، ولاسيما فن النحت الذي أرتقى الآشوريون به إلى أعلى مستوياته عبر مسيرة الحضارة العراقية القديمة .

لقد أتسم النحت الآشوري بسمات خاصة به منها : تركيزه على الجوانب الحربية وغلبة مناظر العنف على مشاهد النحت ، ما يشير إلى سيادة النزعة العسكرية لدى الآشوريين و إهتمامهم بقضايا الحرب والتعبئة بسبب ما واجهوه من ظروف صعبة وتحديات كبيرة من محيطهم الذي كان يناصبهم العداء ، ما وضع الآشوريون في حالة تأهب و استعداد دائميين لمواجهة المخاطر المحدقة بهم ، الأمر الذي أدى إلى تطور القوة الآشورية لتبلغ مديات كبيرة لم تبلغها أي دولة من دول بلاد الرافدين على مدى تاريخها الطويل .

وعلى الرغم من طول الزمن الذي عاشته الدولة الآشورية وهو بحدود الألفي سنة إلا أن الأوضاع فيها لم تستقر بشكل تام إلا في منتصف القرن الرابع عشر قبل الميلاد ، عندما تبوأ عرش الدولة ملك قوي هو (أشور اوبالط الأول) (1365 – 1330 ق.م) ، الذي يعد مؤسس الدولة الآشورية الثاني وأحد أهم ملوكها ، لإن عهده شهد تكوين الإمبراطورية الآشورية الشاسعة بجيشها القوي المجهز بأفضل الأسلحة وأكثرها قوة ، بحيث عُدَ الآشوريون بفضله من أمهر الشعوب المحاربة في ذلك الوقت ، وأكثرها إمتلاكا للقدرات العسكرية والتعبوية .

ولذلك ولكي نكون ملمين ببعض جوانب هذا الموضوع المهم ، ونصل إلى هدفنا من دراسته ، إرتأينا تقسيم البحث إلى ثلاث مباحث الأول :- النحت الآشوري قبل الألف الأول قبل الميلاد ، و الثاني :- أهم الموضوعات التي تناولها النحت الآشوري أبان الألف الأول قبل الميلاد ، والثالث :- القيمة التاريخية للنحت الآشوري ، متمنين أن نوفق في ذلك .

اولا : النحت الأشوري قبل الألف الأول قبل الميلاد

إن ازدهار النحت الآشوري في الألف الأول قبل الميلاد لا يعني أنه من نتاج ذلك الزمن حصرا بل من نتاج عصور قديمة وتقاليد فنية عريقة ، سواء أكانت التقاليد الفنية لبلاد الرافدين بصورة عامة ، أم التقاليد الفنية لبلاد أشور بصورة خاصة . ففيما يخص التقاليد الفنية لبلاد الرافدين عامة أرتبط فن النحت بالحياة اليومية ، مركزا على القضايا التي تخص الفرد العادي وحياته الخاصة دون البعد السياسي والحياة العامة (كسار ، 1992، 112)

(kasar , 1992: 112)، إلا أن الأمر تغير بعد ذلك نتيجة تطور الدولة واتساع مهامها ، فكانت الجوانب التي أنصب اهتمام الدولة عليها كثيرة ومتنوعة ، من بينها الفنون التي تحولت على يديها من هواية ذا طابع فردي إلى حرفة ذات طابع أيدلوجي أو سياسي (بارو ، 2011 : 47) (Baru,2011:47)، ولعل الأحداث السياسية هي التي كان لها الدور الكبير في تطور النحت الأشوري الذي لم يحمل سماته ومميزاته الخاصة إلا قبيل عصر الإمبراطورية (باقر،2009 : 594) ((Baqer, 2009 : 594)، عندما تحولت الدولة الآشورية من دويلة صغيرة همها الأساس حماية حدودها و الدفاع عن كيانها ضد المخاطر الخارجية وتحديات الشعوب المجاورة إلى دولة ضخمة تهابها وتخشاها الدول الأخرى ، ولذلك لم تصلنا نماذج نحتية كثيرة من المدة الطويلة التي سبقت نشوء الإمبراطورية ، أما ما وصلنا من نماذج فقد حصل شك كبير حول عائديه كثير منها ، وأبلغ مثال على ذلك القطعة الفنية التي عدها كثير من المؤرخين بداية للنحت الآشوري وهي مسلة موجودة حاليا في متحف اللوفر عثر عليها في مدينة ماردين ، إذ أصبحت الآن موضع جدل بعد أن رأت دراسات جديدة أنها ربما تعود إلى مملكة اشنونا الآمورية (مورتكات ، 1975 : 317)(Moortgat , 1975 : 317)، فبينما تعرض واجهتها حاكما منتصرا يطأ بقدمه عدواً مهزوما ، عرض قفاها رجالا يلبسون ملابس مختلفة عن الملابس الآشورية (مورتكات، 1975 : 315) (Moortgat,1975:315)، لكن تم استبعاد حمورابي الملك السادس لسلالة بابل الأولى (1792 – 1750 ق.م) ، لإنه دائما ما يعرض نفسه رجل سلام على الضد من شمشي – أدد الأول (1813 – 1781 ق.م) ملك آشور المعاصر لحمورابي الذي كان يبرز نفسه دائما رجل حرب منتصر ، فأصبحت تلك سمتا أيديلوجية الحكم لدى كل من الآشوريين والبابليين (مورتكات ، 1975 : 317)(Moortgat,1975:317).

ومنذ ظهوره تلقى الفن الآشوري كثيرا من التأثيرات الفنية الخارجية ، لأن الواقع السياسي لبلاد آشور كان دائم التقلب بين القوة و الضعف و بين الاستقلال والخضوع لسيطرة الأقوام الأخرى إلى عهد الملك أريبا ادد الأول (1390 – 1365) قبل الميلاد وخلفه أشور أوبلط الأول (1365 – 1330 ق.م) ، اللذان أسهما في نهوض الدولة الأشورية وتحولها إلى قوة عالمية كبيرة .

لكن هذا الأمر لا يعني نفي أي وجود لنحت آشوري قبل عصر الإمبراطورية ، فقد كان هناك دائما نحت آشوري وإن كان متأثرا بالفنون النحتية الأخرى ، وخير مثال على ذلك مشهد منحوت على لوح مرمري مربع الشكل تم إلتقاطه من بئر وجد في أحد المعابد في

مدينة آشور أقدم العواصم الآشورية (مورتكات ، 1975 : 331)(Moortgat , 1975 : 331) ، عرض إلها بهيأة بشرية مواجها للمشاهد وعلى مقربة منه إلهتان صغيرتان واقفتان على جانبيه ، وهم جميعا يرتدون أردية طويلة وغطاء رأس يشبه القلنسوة ، أما زينتهم فقد كانت مختلفة ، إذ بينما زين ثوب الإله وقلنسوته بقشور السمك ، زينت أردية الإلهتين بخطوط متموجة للدلالة على الماء ، و كل من الإلهتين تمسكان بمزهرية يخرج الماء من فوهتها ، فيما يمسك الإله بيديه غصنين مثمرين بثلاثة عشر ثمرة ، و المعزان يسبحان بالفضاء وهما تقضمان الثمار ، وعلى ما يبدو فنحن بإزاء منظر لم يكن له نظير في المناظر النحتية العائدة لحضارة بلاد الرافدين ، التي لم تعطي لعلاقة الإنسان بالدين بعدا خارقا للطبيعة مثلما عليه الحال في البلدان الأخرى ، ومع ذلك نلمس في النحت صلة ببيئة بلاد الرافدين ، إذ يمكن تفسير الإناءين اللذين يتدفق الماء منهما بإنهما يرمزان إلى نهرا دجلة والفرات ، فيما ترمز قشور السمك إلى الخيرات التي يوفرها الماء لعموم الناس ، ومن وجهة نظر دينية فإن ذلك مرتبط بوظيفة الآلهة كحامية و راعية للحياة (مورتكات ، 1975 : 329)(Moortgat , 1975 : 329) ، وشيئا فشيئا أصبح للنحت الآشوري هوية وسمات خاصة به .

ومن دراستنا للمنحوتات الأشورية العائدة لهذا العصر وهي قليلة جدا ، نلمس اتجاها متواصلا للتناغم مع ظروف البلاد وتطوراتها السياسية والعسكرية ، إلا أن ما يلاحظ على فن النحت في المرحلة التالية أنها لم تعد مرتبطة بقطع محددة كما هو الحال عليه في المرحلة السابقة بل بفن النقش على الجدران الذي بات النوع الغالب من النحت لسنوات عدة ، ومن ثم فإن الميزة الأساسية للنحت الأشوري انه كان يتطور بإيقاعات سريعة تبعا للتطورات والتقلبات التي تمر الدولة بها ، كما هو الحال في التغييرات التي نلمحها بين منحوتات قصر الملك توكولتي ننورتا الأول (1244 – 1208 ق.م) والمنحوتات العائدة لعهد الملك أشور ناصر بال الثاني (883 – 859 ق.م) (مورتكات ، 1975 : 341 – 362)(Moortgat, 1975 : 341 – 362)، و من ثم فإن أهم ميزة أفضت إليها تلك التطورات هي ظهور سمات خاصة بالنحت الآشوري بعد أن كان في السابق أسيرا للتقاليد الفنية لحضارة القسم الجنوبي من بلاد الرافدين فضلا عن تأثيرات فنون الشعوب الأخرى .

ثانيا : أهم موضوعات النحت الآشوري خلال الألف الأول قبل الميلاد

برز النحت الآشوري في الألف الأول قبل الميلاد (ساكز ، 1979 : 548)(Saggs , 1979 : 548) ، وبالتحديد في النصف الأول منه ، وذلك بحمله سمات

خاصة به ، و تنوع موضوعاته وأشكاله ، إذ أشتمل على مشاهد الصيد والحروب و وإحتفالات النصر و عرض الأسرى ... الخ ، ويميل بعض المؤرخين إلى تقسيم مسيرة هذا الفن إلى ثلاث مراحل أساسية : الأولى وتبدأ من الربع الأول إلى بداية الربع الأخير من القرن التاسع قبل الميلاد ، والثانية شملت معظم النصف الثاني من القرن الثامن قبل الميلاد ، أما المرحلة الثالثة فتشمل عهود الملوك المتأخرين أي من بداية حكم سنحاريب إلى سقوط الدولة الآشورية في عام 612 قبل الميلاد (باقر ، 2009 : 595)(Baqir , 2009 : 595) ، ومن أجل إعطاء فكرة عن ملامح النحت الآشوري في الألف الأول قبل الميلاد سنتطرق إلى أهم الموضوعات التي تناولها ، وأهمها :

(1) الحروب

يهتم الملوك الأشوريون في العادة بإعطاء لمحة مصورة عن حملاتهم وحروبهم العسكرية من أجل توثيقها و بث الحماس في نفوس أتباعهم وجنودهم ، إذ تفتقر الكتابة العادية إلى القوة التعبيرية التي تتميز بها الرسمة أو المنحوتة التي يمكن مقارنتها بالصورة المتحركة في وقتنا الحاضر ، وفي العادة يتم التركيز على وضعية الجنود و كيفية مواجهتهم للعدو كجزء من العمل الإعلامي المرافق للمعركة (باقر ، 2009 : 595)(Baqir , 2009 : 595)، إذ يحرص الفنانون الذين كانوا يرافقون الجيش في المعارك على تصوير المقاتل الأشوري وهو يواجه العدو بهمه وإقتدار عاليين ، فيما يتم إظهار مقاتل العدو وهو يتلقى السهام والسيوف تعبيرا عن هزيمته في المعركة .

كما امتازت بعض المنحوتات بتجاوزها للمقاييس والنسب الفنية وذلك بتصويرها الملك في أحيان كثيرة وكأنه أكبر من المدينة المحاصرة أو من جنود العدو فضلا عن إظهار الجنود بشكل أكثر مهابة وبجاهزية عالية للمعركة (بارو ، 2011 : 71)(Baru , 2011 : 71)، ومن أهم المنحوتات التي تعرض هذا النوع من المشاهد ذات السمة الدعائية : المنحوتات العائدة للقرن السابع قبل الميلاد الذي حكم فيه عدة ملوك أقوياء لهم نماذج نحتية مهمة أبرزهم : سرجون الثاني الآشوري (721 – 705 ق.م) وسنحاريب (704 – 681 ق.م) وآشور بانيبال (668 – 627 ق.م) (مورتكات ، 1975 : 410 – 413)(Moortgat , 1975 : 410 – 413)، إذ عرف هؤلاء الملوك بكثرة ما خاضوه من حروب ، وما حققوه من إنتصارات مكنتهم من إخضاع شعوب كثيرة وتوسيع رقعة الإمبراطورية لتشمل أقاليم عدة في محيط بلاد الرافدين . ونظراً لأهمية هذا النوع من المنحوتات وما تمتلكه من سمات فنية ولمحات تعبيرية عالية ، فقد عدت بمثابة وسائل

إبلاغ خاصة أو أساليب دعائية هدفها تعزيز ثقة الناس بالملك وجهازه العسكري ، فضلا عن بث روح الحماسة في نفوس الجنود والناس ورفع شأن الملوك بين أفراد المجتمع .

(2) الصيد

على الرغم من أن مشاهد الصيد ليست جزءاً من الفن العسكري ، إلا أنها تعد أيضاً من الأعمال الدعائية التي تعكس قوة الملوك وهمتهم وقدراتهم القتالية العالية ، فهي تأكيدا لما لدى الحاكم من مهارة في إدارة شؤون البلاد والحفاظ على حدودها ومصالح أبنائها ، وهي تعد تقييما لكفاءة الملوك في أوقات السلم مثلما تعكس الحروب شجاعة الملوك وكفاءتهم وقت الحرب ، وهي تعد من المواضيع المحببة ليس لدى الملوك وحسب بل ولدى الفنانين أيضا ، لأنها تتضمن لمحات فنية غاية في الروعة والإتقان ، على الرغم من أنها قد لا تمثل مجرد محاكاة للواقع أو تعكس مجرى الحياة اليومية بشكل صارم ، لأن هذه المنحوتات غالبا ما يكون ورائها هدف أخر له علاقة بإعلاء هيبة الملك وزيادة تقديره ورفع مكانته بين الناس ، ولم يقل اهتمام الملوك بالصيد حتى في أصعب الظروف والمواقف التي واجهوها ليس لكونه يعد بمثابة وسيلة تدريب مهمة لهم وحسب بل و لأنه يوفر لهم متعة كبيرة أيضا (الأسود ، 1988 : 93)(Alaswad , 1988 : 93)، وهم بذلك يتشابهون مع كثير من ملوك بلاد الرافدين القدماء الذين عرفوا باهتمامهم بالصيد (الأسود ، 1988 : 92)(Alaswad , 1988 : 92)، وقد لا نغالي إذا قلنا أن ملوك بلاد الرافدين وبالأخص الآشوريين منهم كانوا يبزون نظرائهم في الحضارات الأخرى بإهتمامهم بالصيد ، ولو أمكننا العثور على كل المنحوتات التي تتضمن مشاهد الصيد لأدركنا الأهمية الكبيرة التي يوليها الملوك له ، ولا تتوقف المضامين التي تقدمها مشاهد الصيد على القوة والنشاط التي يحاول الملوك إظهارها كصفة من صفاتهم بل وعلى قسوتهم وعنفهم الذي يجعلهم مخيفين ومرعبين لدى خصومهم وأعدائهم ، لذا يعد صيد الأسود من أكثر حالات الصيد التي يرغب الملوك بها ، لأن الأسد يعد في نظرهم المعادل الموضوعي للملك البشري وغالبا يراه الملك الرافديني نظيرا له (فرانكفورت ، 2000 : 71)(Frankfort , 2000 : 71)، أما لماذا يحرص الفنان على تصوير الأسد وهو يصارع الموت ويعاني الألم ، فليكون تأكيدا لغلبة الملك البشري وقدرته على هزم أعتى الحيوانات (شكل 1) و (شكل 2) ، ومن أشهر مشاهد صيد الأسود في النحت الآشوري ، مشاهد قصر الملك أشور بانيبال (فرانكفورت ، 2000 : 77 Frankfort , 2000 : 77) .)(

(3) أنشطة الملوك

رغم أن الملك الآشوري هو أمتداد للملوك الرافدينيين الذين سبقوه ، إلا انه يمتاز بسلطة واسعة لم يمتلكها أحد سواه ، بسبب ما لديه من مسؤوليات ومهام كبيرة ، ونظرا لحاجته إلى كسب ولاء الشعب وفرض هيبته على رعاياه ، فقد أصبح الفن من الوسائل الدعائية التي يعتمدها الملوك لعرض بطولاتهم الحربية وأعمالهم السلمية ، إذ تم العثور على الكثير من هذه المنحوتات وبمواضيع مختلفة تتباين من نحت إلى أخر ، فهناك مشاهد لحفلات النصر أو لعرض الأسرى أو لإذلال عدو ... الخ ، و تعكس هذه المشاهد إهتمامات الملوك ونشاطهم ومواقفهم وسلوكياتهم في مختلف المناسبات والمواقف ، تأكيداً لمكانة الملك وأثره الكبير في حياة الناس واستقرار المجتمع ، فأصبحت المنحوتات من وسائل الإبلاغ المهمة مثلها مثل الصور الحديثة (البصري ، 2008 : 168)(Albasri , 2008 : 168) .

ثالثا : القيمة التاريخية للنحت الآشوري

إن قيمة النحت الآشوري لا تكمن في مواصفاته الفنية وعناصره الجمالية وحسب ، بل و فيما يقدمه من دلالات تاريخية تسهم بإغناء معرفتنا عن ظروف الناس وأحوالهم في العصر الذي أبدع فيه ، ولا خلاف في أن النحت الآشوري زاخر بالمواضيع المتنوعة التي يمكن للباحث الاستناد إليها في بحوثه ودراساته التي تتناول مختلف شؤون القوم السياسية والعسكرية والاقتصادية والثقافية والدينية ... الخ ، لذلك فإن النحت الآشوري يقدم لنا الكثير من المعلومات وفي جوانب عدة ، أهمها :

(1) حياة البلاط

لأن كثير من مشاهد النحت الآشوري مرتبطة بالبلاط، فقد أعطى ذلك لحياة البلاط فسحة كبيرة من إهتمامه ، ما جعله يقدم لنا صورة مهمة عن الحياة في القصور الملكية لاسيما حياة الملوك الخاصة وأنشطتهم وهواياتهم ومهامهم العامة بما في ذلك مهامهم كملوك للبلاد وقادة لجيوشها ، إذ أرتبط النحت الآشوري بفن العمارة الذي بلغ مديات واسعة في المرحلة التي تشكلت فيها الإمبراطورية الآشورية ، نتيجة الأموال الكبيرة التي حازها الملوك الآشوريون من فتوحاتهم التي بلغت أماكن بعيدة ، إذ تعد الدولة الآشورية أكبر كيان إمبراطوري شهدته حضارة بلاد الرافدين في مراحلها كافة ، ولعل أغلب وأهم مشاهد النحت هي تلك التي قام الفنانون بنحتها على جدران القصور ، إذ يعد الملك آشور ناصر بال الثاني من أبرز مبتكري النحت الجداري (لويد ، 1988 : 206)(Lloyd , 1988 : 206) في قصوره التي بناها بعد نقل عاصمته من آشور إلى كالح (نمرود) ، أما المشاهد

المنحوتة على المسلات ، فهي أيضا ذات أهداف إعلامية ودعائية ، وبشكل أساس الترويج لأعمال الملك سواء أكانت السلمية منها أم الحربية ، وعرض أهم ما حققه من إنجازات وإنتصارات لتكون أمام أنظار الناس في الأماكن العامة ، ومن أهم المسلات التي تعرض هذه الجوانب : المسلة البيضاء العائدة للملك آشور ناصربال الأول (1050 – 1032 ق.م)(مورتكات ، 1975 : 357)(Moortgrt , 1975 : 357) ، ومسلة آشور ناصربال الثاني(مورتكات ، 1975 : 363)(Moortgat , 1975 : 363)، والمسلة السوداء للملك شلمنصر الثالث (858 – 824 ق.م) (مورتكارت ، 1975 : 394)(Moortgat , 1975 : 394) ، وهي مسلات قدمت لنا معلومات كثيرة عن أوضاع الدولة الآشورية الداخلية وحروبها الخارجية وأهم أعمال ملوكها وحياة بلاطها .

(2) الحياة العسكرية

تعد مشاهد الحروب أو القتال من أهم الموضوعات التي أهتم النحت الآشوري بها ، لما لها من أهمية في تقوية عزائم الناس و بث الحماسة في نفوسهم فضلا عن ترويع الأعداء وإخافتهم ، ولتحقيق ذلك توضع المنحوتات في أماكن عامة لكي يسهل على الناس رؤيتها ، وهذه من مهمات الجهاز العسكري للدولة ، الذي قام بتطوير جانب الدعاية والإعلام ليغدو جزءا أساسيا من برنامج التعبئة العسكرية لما له من أثر في رفع معنويات الناس و زيادة ثقتهم بالملك وقادته العسكريين ، ومن مشاهد النحت التي يظهر فيها أثر الدعاية : منظر الجيش الآشوري وهو يجتاز أراضي خطرة ووعرة في طريقه إلى مهاجمة مدينة محصنة للعدو ، كما يظهر النحت ما يقوم به الجيش بعد اجتياح المدينة من تدمير وحرق و تعذيب وقتل لقادة العدو ، ناهيك عن مشاهد دك الأسوار التي تعد من المشاهد التي يركز عليها الفنان لعرض القدرات التي يمتلكها الجيش الآشوري وأثرها في تحقيق النصر على العدو (لويد ، 1988 : 212)(Lloyd , 1988 : 212) ، ومما يعرضه الفنان أيضا منظر سوق الأسرى وأخذ الغنائم التي عادة ما يتم إظهارها في مشاهد المنحوتات بهدف عرض ما حققته الحرب للمملكة من موارد مادية تكمن أهميتها في تأكيدها لسلامة قرار الملك في شن الحرب وإظهار ما حققته من فائدة ، فضلا عن تحذير الشعوب الأخرى من إقدامها على أي تمرد ضد الحكم الآشوري لأن نتيجته ستكون مشابهة لما تعرضه المنحوتات من فضائع و كوارث مريعة (صاحب ، 2010 : 194)(Sahib , 2010 : 194).

ومما تعرضه مشاهد النحت أيضا : أقسام الجيش الأشوري وصنوفه المختلفة كصنف العربات الحربية والمشاة وآلات دك الأسوار وما إلى ذلك ، ومن المثير أن نجد في منحوتات عدة جنودا يغوصون في الماء ويهاجمون العدو منه ، وهو تأكيد لوجود صنف الضفادع البشرية بوصفه أحد الأصناف التي كان يضمها الجيش الآشوري (شكل 3) ، ويدل إهتمام الفنانين بتوثيق أدق تفصيلات المعركة إلى الأهمية الكبيرة التي توليها الدولة لجانب الدعاية العسكرية ، وإلى أدراكها لأثرها في تحقيق النصر على الأعداء .

(3) المعتقدات الدينية

يقدم لنا النحت معلومات مهمة عن المعتقدات الدينية السائدة في المجتمع الآشوري ، كشخوص الآلهة كما تخيلها الفنان الآشوري وأزيائها و رموزها (شكل 4) ، وهي مما يصعب معرفتها من النصوص الكتابية ، وغالبا ما يصور الفنان الآشوري هذه الآلهة وهي تقوم بإسناد القوات الآشورية ، بدعم جهودها في المعارك التي تخوضها ضد جيوش الدول المعادية ، وتدمير مدنها وحصونها ، فضلا عن مساعدة الملك الآشوري في مختلف المهمات التي يقوم بها سواء أكانت حربية في ساحات القتال أم سلمية في إدارته للبلاد ، وذلك لإعطاء الشرعية لسلطة الملك ، وللأعمال التي يقوم بها سواء أكانت في داخل المملكة أم في جبهات القتال ، ولا يقتصر الأمر على ذلك بل تقدم لنا المنحوتات معلومات كثيرة عن الشعائر والطقوس التي يحييها الملك أو الكهنة من أجل الحصول على مباركة الآلهة ودعمها في كل القضايا التي لها علاقة بوظيفة الملك كراعي للشعب وحامي للبلاد ، وهذا ما تظهره كثير من المنحوتات والتي يظهر الملك فيها خاشعا أمام الإله وهو يؤدي الصلاة ويرتل التراتيل والأدعية التي يلقنها الكاهن له (لويد ، 1980 : 216)(Lloyd , 1980 : 216) ، فضلا عن تقديم النذور والقرابين التي تمثل ركنا أساسيا من الطقوس الدينية التي يؤديها الملوك للآلهة (شكل 5) ، وبالأخص الإله آشور إله المملكة الأعلى وحامي حماها ، كما تشمل فقرات زيارة الملوك لمعابد الآلهة منحها الغنائم والهدايا ، عرفانا بدورها في تحقيق النصر وضمان الرخاء والازدهار للبلاد .

(4)الأزياء

يقدم النحت كذلك معلومات غاية في الأهمية عن الأزياء الآشورية ، فبفضله بتنا نعرف أمورا كثيرة عن أزياء القوم ، بدءا بالملك وحاشيته والأمراء وكبار الموظفين والجنود فضلا عن الشرائح الاجتماعية الأخرى (بارو ، 2011 : 69)(Baru , 2011 : 69) ، وهو أمر تعجز عنه الكتابات في كثير من الأحيان ، فبدون تلك المشاهد النحتية ستكون هذه الأمور مجهولة ومبهمة ، وقد لا يتسنى لنا معرفتها على الإطلاق ، لكن الآن وبفضل

تلك المنحوتات المهمة ، أصبحنا نعرف الكثير من المعلومات عن أزياء القوم بأدق تفاصيلها من ألوان وزركشة وموديل .. الخ (صاحب ، 2010 : 197)(Sahib , 2010 : 197) ، ومن ثم فنحن مدينون لفن النحت في حصولنا على معلومات مهمة عن الحياة الاجتماعية والعادات والتقاليد والمستوى المعيشي للسكان فضلا عن مجريات الحياة اليومية .

(5) الولائم والحفلات

تحتفي المنحوتات الآشورية بالولائم والحفلات التي يقيمها الملوك في القصور أو في الساحات العامة ، احتفاء بتحقيق إنجاز ما ، كالانتصار على عدو ، أو بناء حصن أو مدينة ، أو إقامة مشروع أروائي .. الخ ، إذ أبدع الفنان الآشوري في إظهار ما في هذه الاحتفالات من عظمة و أبهة ، مصورا أدق تفاصيلها ، وذلك تعظيما لمكانة الملك الآشوري وإبرازاً لنفوذه و ثراءه ، إذ يجري دعوة الناس من مختلف الطبقات الاجتماعية لحضور هذه الاحتفالات ، سواء أكان ذلك تقديرا لدورهم في ما تحقق من إنجاز بنائي أو حربي ، أم ليكونوا شهودا على عظمة الملك ونفوذه ، ومن هذه المنحوتات : منحوتة مهمة تظهر الملك آشور ناصربال الثاني وهو يقيم وليمة ضخمة للشعب احتفاء بإكمال بناء قصره الفخم (لويد ، 1980 : 251)(Lloyd , 1980 : 251)، إذ بلغ عدد المدعوين إلى الحفل (86) ألف شخص من مختلف الأعمار من بينهم عدد كبير من الأطفال ، فيما تعرض منحوتة من عهد الملك سنحاريب موكبا يضم رجال عائدين من الصيد ، وهم يقودون خيول الملك ويحملون في الوقت نفسه الحيوانات المصادة ، و من عهد الملك نفسه هناك منحوتة أخرى تظهر موكبا يضم عددا من المحاربين والموسيقيين من الرجال والنساء وهم يستعدون لإحياء مهرجان ما (مورتكات ، 1975 : 417)(Moortgat , 1975 : 417) ، أما المنحوتات التي تصور إحتفالات النصر ، فأبرزها منحوتة محفوظة الآن في المتحف البريطاني – القاعة الآشورية تصور الملك آشور بانيبال وهو يحتفل بالنصر على عيلام مع زوجه الملكة (ليبال – شرات) على أنغام الموسيقى ، ازدانت بها جدران قصر الملك آشور بانيبال الشمالي في مدينة نينوى (شكل 8) ، إذ أظهرت المنحوتة أيضا رأس ترومان ملك عيلام وهو معلق على شجرة (لويد ، 1980 : 249)(Lloyd , 1980 : 249).

(6) القيَم الاجتماعية

و المنحوتات تقدم معلومات كثيرة عن الواقع الاجتماعي والقيم السائدة فيه ، كالعلاقة بين الحاكم والمحكوم ، و كيفية التعامل مع الأسرى ، والعلاقة مع الدين ... الخ ، إذ تقدم لنا المنحوتات معلومات قيمة عن المقابلات الدبلوماسية أو الرسمية التي يجريها الملوك مع وفود الدول الأخرى (شكل 6) ، وتظهر لنا الجهود المبذولة في تنظيم الحفلات

سواء حفلات النصر أم الحفلات الأخرى التي لها علاقة بحياة الملوك (شكل 7) ، وفضلا عن إظهارها لحملات الصيد وأداء الحكام و الناس العاديين للشعائر الدينية ، وما إلى ذلك ، الأمر الذي يؤدي إلى إكمال الصورة التي تقدمها النصوص المسمارية عن واقع المجتمع وقيمه .

الاستنتاجات

(1) النحت الآشوري بنوعيه المجسم والناتيء هو وليد ثلاثة عوامل ساهمت جميعا في ظهوره وبلورته ، أولها وأهمها الإرث الحضاري الرافديني كون الآشوريون جزء من حضارة بلاد الرافدين ، ثم الواقع السياسي والاجتماعي لبلاد آشور لاسيما ما واجهته من تحديات مصدرها الشعوب المجاورة ، لكن بدلا من أن تنهزم البلاد ، ذاقت حلاوة النصر بإخضاعها لتلك الشعوب ، ما مكنها من تقوية دعائم حكمها وتطوير إمكاناتها السياسية والعسكرية ، بحيث أصبحت في مقدمة الدول التي تملك جيوشا قوية وحكاما مهابين لا يتورعون عن تجهيز الجيوش و قيادة الحملات العسكرية لجلب الاستقرار لبلادهم ورد المعتدين ومعاقبة المتمردين أينما كانوا ، ثم يأتي العامل الثالث وهو تأثير الأقوام الأجنبية التي أحتكت ببلاد آشور عبر المراحل التاريخية المختلفة .

(2) لا تنحصر أهمية النحت الآشوري بما يحمله من قيمة فنية وجمالية جعلته في مصاف الفنون العالمية الراقية بل وبما يحمله من قيمة تاريخية ، إذ يمكن أن نستقي منه معلومات كثيرة عن واقع الحياة في المجتمع الآشوري ، فضلا عن الأنشطة السياسية والعسكرية للملوك والحكام والقادة ، وهي معلومات قد لا يتسنى الحصول عليها من المصادر الأخرى .

(3) خضوع النحت الآشوري لهيمنة الدولة جعل وظيفته الأساسية خدمة البلاط أو مؤسسة الحكم بما يقدمه من دعاية و توثيق و ترويج لنشاطات الملوك وأعمالهم سواء أكانت الحربية منها أم السلمية ، ما يعني أن وظيفة النحات الآشوري لا تختلف عن وظيفة أي موظف آخر من موظفي البلاط ، إذ تكمن مهمتهم في تنفيذ أوامر مؤسسة الحكم وترويج أنشطتها بما يزيد من ثقة الناس بها وبقدرتها على إدارة شؤون الدولة .

(4) يعد النشاط العسكري من أهم الأنشطة التي أهتم بها النحت الآشوري من أجل بث الحماس في الناس وتقوية معنوياتهم وزيادة ثقتهم بالدولة ، لذا لا غرابة في أن تكون مناظر القتال في مقدمة ما يعرضه هذا الفن للناس ، فضلا عن مناظر أخرى ذات صلة بالأنشطة الحربية للدولة ، كمناظر دك أسوار المدن المعادية وتسيير الأسرى

وحمل الغنائم ، وهي مناظر تقوي من روابط الفرد بالقصر وبمؤسسته الحاكمة و تزيد من تماسك المجتمع الآشوري ووحدته .

(5) النحت الآشوري زاخر بالمواضيع المتنوعة التي يمكن للباحث الاستناد إليها في بحوثه ودراساته التي تتناول مختلف شؤون القوم السياسية والعسكرية والاقتصادية والثقافية والدينية ، ففضلا عن حياة البلاد والحركات العسكرية التي يركز عليها هذا الفن ، هناك جوانب أخرى أمكن للنحت أن يقدم لنا صورة عنها ، من أهمها المعتقدات الدينية للناس والأزياء والولائم والحفلات والقيم والعادات الإجتماعية وغيرها .

الاشكال

شكل رقم (1) الملك آشور بانيبال في الصيد

المصدر : اندريه باور ، آشور ، ترجمة: سليم زرازير ، بيروت، 2011، ص70.

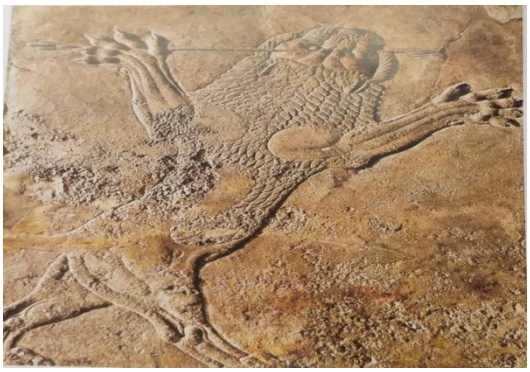

شكل رقم (2) من لوحات صيد الملك آشور بانيبال

المصدر : اندريه باور ، آشور ، ترجمة: سليم زرازير ، بيروت، 2011، ص71.

شكل رقم (3) معركة في الأهوار الجنوبية

المصدر: اندريه باور، آشور، ترجمة: سليم زرازير، بيروت، 2011، ص60.

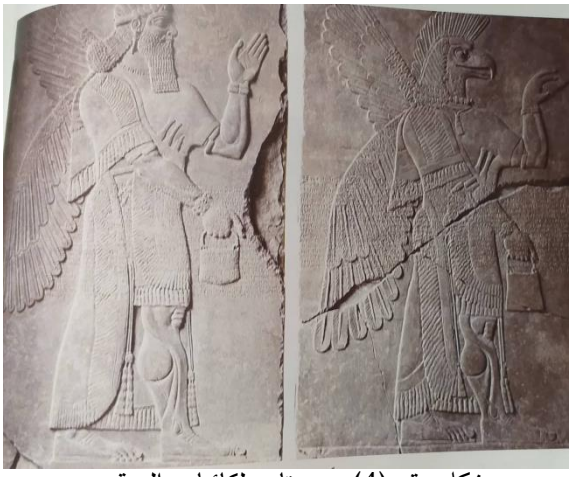

شكل رقم (4) منحوتات لكائنات إلهية

المصدر: اندريه باور، آشور، ترجمة: سليم زرازير، بيروت، 2011، ص44.

شكل رقم (5) سرجون الثاني أو كاهن يحمل أضحية

المصدر: اندريه باور، آشور، ترجمة: سليم زرازير، بيروت، 2011، ص51.

شكل رقم (6) مشهد مصافحة بين ملك آشوري وآخر بابلي

المصدر: اندريه باور، آشور، ترجمة: سليم زرازير، بيروت، 2011، ص45.

شكل رقم (7) فرقة موسيقية

المصدر: اندريه باور، آشور، ترجمة: سليم زرازير، بيروت، 2011، ص68.

المصادر

1- الأسود ، حكمت بشير ، (1988) ، رياضة صيد الأسود عند الآشوريين ، مجلة آفاق عربية ، السنة الثالثة عشر ، عدد حزيران ، (بغداد ، دار الشؤون الثقافية العامة) .

2- بارو ، أندريه ، (2011) ، آشور ، ترجمة : سليم زرازير ،(بيروت ، الطبعة الأولى) .

3- باقر ، طه ، (2009) ، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة (الوجيز في تاريخ حضارة وادي الرافدين) ، ج1 ، (بيروت ، شركة دار الوراق ، الطبعة الأولى) .

4- البصري ، إيلاف سعد علي ، (2008) ، وظيفة الإبلاغ في الرسوم الجدارية العراقية والمصرية القديمة (دراسة تحليلية مقارنة) ، (بغداد ، دار الشؤون الثقافية العامة ، الطبعة الأولى) .

5- ساكز ، هاري ، (1979) ، عظمة بابل ، ترجمة : عامر سليمان إبراهيم ، (بغداد) .

6- صاحب ، زهير وحميد نفل ، (2010) ، تاريخ الفن في بلاد الرافدين ، (بغداد ، دار الأصدقاء) .

7- فرانكفورت ، هنري ، (2000) ، حضارة وادي الرافدين .. الفن والتأثير في ميلاد العالم ، ج2 ، ترجمة : محمد الجبوري ، مجلة الثقافة الأجنبية ، العدد الثالث ، (بغداد ، دار الشؤون الثقافية العامة) .

8- كسار ، أكرم محمد عبد ، (1992) ، النحت العراقي في عصري فجر التاريخ وفجر السلالات ، مجلة آفاق عربية ، السنة السابعة عشر ، عدد آب ، (بغداد ، دار الشؤون الثقافية العامة) .

9- لويد ، سيتون ، (1988) ، فن الشرق الأدنى القديم ، ترجمة : محمد درويش ، (بغداد ، دار المأمون للترجمة والنشر) .

10- مورتكات ، أنطون ، (1975) ، الفن في العراق القديم ، ترجمة : عيسى سلمان وسليم طه التكريتي ، (بغداد) .

References

- Al- Aswwad, Hikmat Basheer,(1988),The Assyrian Sport of Lion Hunt,(Afaq Arabiyah magazine,13th year, June issue , (Baghdad, Dar Al- Shu`un Al-Thaqafiyah Al- `Amah).
- Barro, Andrea,(2011), Assyria, trans. By: Saleem Zarazeer(Beirut, 1st edition).
- Baqir Taha,(2009)An Introduction to Ancient Civilizations: The Concise account of the History of Mesopotamian Civilization(part: 1), Beirut, Dar Al- Riwaq publishing Company, 1st edition .
- Al- Basri `Elaf Saad,(2008)The function of Notification in Ancient Iraqi And Egyptian wall drawings, A comparative Analytic study,( Baghdad, Dar Al- Shu`un Al-Thaqafiyah Al- `Amah, 1st edition).
- Sakiz , Harry,(1979),The Greatness of Babylon,trans. By: Amir Suleiman Ibraheem(Baghdad).
- Sahib ,Zuheir and Hameed Nafil,(2010), The History of Art in Mesopotamia,(Baghdad, Dar Al-`Assdiqa`).
- Frankfurt ,Henri,(2000),Civilization of Mesopotamia,Art and its Influence in the Birth of the World, part 2, trans, by: Mohammad Al- Juboori, Al- Thaqafah Al- Ajnabiyah Magazine,3rd edition,(Baghdad, Dar Al- Shu`un Al-Thaqafiyah Al- `Amah).
- Kassar , Akram Mohammad Abd,(1992)The Iraqi Sculpture in the Eras of the Dawn of History And The Dawn of Dynasties, Afaq Arabiyah magazine,17th year,August issue,(Baghdad, Dar Al-Shu`un Al-Thaqafiyah Al- `Amah).
- Lewid , Seaton,(1988), The Art of Ancient Near East, trans. By: Mohammad Darweesh(Baghdad, Dar Al- Maamoun for Translation and Publishing).
- Mortkat, Anton,(1975), Art in Ancient Iraq, trans. By `Essa Salman and Saleem Taha Al- Tikriti(Baghdad).

The Assyrian Sculpture during the First Millennium BC: A Study of Its Topics and Historical Implications

Dr. Bassim Mohammad Habeeb
Thi-Qar General Directorate of Education/ Al- Refaie Department
basim02@gmail.com

Abstract

The present research tackles the topic of the Assyrian sculpture during the first millennium BC., its most important subjects and the historical implications it involves. At the beginning, the focus is placed on investigating the beginnings of this art which is part of the arts of Mesopotamians, for the Assyrians with whom this art is associated are the Mesopotamians. Accordingly, the beginnings of this art progressed side by side with the beginnings of the Sumerian and the Babylonian sculpture until the Assyrian state turned into an empire the time when this kind of art shouldered the responsibility of defending the empire and maintaining its political and social stability. This new function of the art led it to be influenced by the other neighboring peoples or those subject to the Assyrian domination.

Then a review of the most important subjects represented by Assyrian sculptures is made which includes wars in the first place that comes in the forefront of its interests. This focus on wars by Assyrian Sculptures is attributable to the threats they faced from the neighboring countries and consequently the shift in the Assyrian Military Doctrine from the strategy of defense to that of attack to direct preemptive strikes to any possible enemies that may arise in their lands in the future

In fact, those subjects as were chosen by Assyrian sculpture expressed best the Assyrian military attitude. Besides, the art also tackled other subjects such as hunting and other peaceful activities that the Assyrian kings used to exercise. Obviously, the subject selected contributed in strengthening the ties between individuals and their institutions and in increasing the unity of society. Finally ,the study highlights that the significance of the Assyrian sculpture is not confined to its artistic and aesthetic value that made it occupy a special position within the highbrow world arts but to its great historical value because we can glean from it a lot of information about the reality of daily life in the Assyrian society, let alone information about the political and military activities of kings, leaders and rulers, which are not easy to obtain elsewhere.

Key words: Assyrian sculpture, historical connotations